وقد اقترحت اعادة طبع الكتاب على مركز الابحاث، ولكن القضية ضاعت في الزحام . وكان أن أرسل الكتاب الى مركز الابحاث لاعادة طبعه ، كما أرسلت لي نسخة في الوقت ذاته ، ومعها مناشدة باعادة الطبع . ووافق مركز الابحاث ، بعد دراسة الموضوع . وها هو الكتاب يقدم للقارىء .

والحديث عن الكتاب يستلزم الحديث عن المؤلف ، ذلك ان المؤلف ، وهو من رجال السياسة والفكر المعروفين جيدا في الارض المحتلة ، ليس معروفا خارج الارض المحتلة ، الا لقلة من المثقفين . وليس هذا غريبا ، لان ما نشر له خارج الارض المحتلة — فيما أعلم — لا يتعدى دراسة عن الوحدة ، أصدرتها دار الحقيقة في كتاب ، مع دراستين احداهما لالياس مرقص والثانية لمكسيم رودنسون .

يبلغ الدكتور اميل توما الخامسة والخمسين تقريبا ، اذ أنه ولد بعد الحرب العالمية الاولى . أنهى دراسته الابتدائية في مدرسة الطائفة الارثوذكسية وتعليمه الثانوي في مدرسة صهيون في القدس ، وانتقل بعد ذلك الى كمبردج لاتمام تعليمه الجامعي ، ولكن اندلاع الحرب العالمية الثانية حال بينه وبين اتمام دراسته . وقد ساهم منذ أيام دراسته في النضال الوطني من خلال الحركة الطلابية. وانتسب سنة ١٩٣٩ الى الحزب الشيوعي الفلسطيني . وكان فيما بعد ، سنة ١٩٤٣ ، من المناضلين في عصبة التحرر الوطني ، اي الجناح العربي من الحركة الشيوعية في فلسطين .

وحين اتخذت الامم المتحدة قرار التقسيم ، وانفجر الوضع في فلسطين ، وقف اميل توما ضد قرار التقسيم ، وناضل هو ورفاقه مع شعبهم ضد محاولات الصهيونية للسيطرة على البلاد . . ولقد خرج من البلاد مدة الى لبنان ثم عاد ليواصل نشاطه الفكري والسياسي ، من خلال « الحزب الشيوعي في اسرائيل » ، أي الحزب الشيوعي للعرب واليهود وانتقد موقفه من قرار التقسيم . وهو الان رئيس تحرير الاتحاد ، جريدة الحزب باللغة العربية .

وكان فعالا في ميدان النشاط الفكري ، كما هو فعال في ميدان النشاط السياسي . ولذلك فهو يساهم دائما بالكتابة في صحف الحزب ، وخاصة الاتحاد والجديد ، كما أنه أصدر كتابين : الاول عنوانه : العرب والتطور التاريخي في الشرق الاوسط ، والثاني عنوانه : « عقد على ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ » .

ولقد أنجز ايضا دراسة مطولة حول تاريخ الوحدة العربية ، لم تنشر بعد ، كان قدمها اطروحة الى معهد الاستشراق في موسكو ، ونال عليها درجة الدكتوراه .

والدكتور اميل توما ، من بين القلائل في قيادة الحركة الشيوعية العربية، الذين يتضح في كتاباتهم خطهم القومي العربي ، ووعيهم النظري لاهمية قضية الوحدة العربية وأهمية النضال من أجلها في معركة العرب الكبرى ضد الاحتلال الاجنبي والسيطرة الامبريالية والتخلف . ويلمس كل من يقرأ كتاباته هذا الاتجاه بوضوح . ولعل الكتاب الذي بين أيدينا يعطينا صورة واضحة وملموسة عن هذه الحقيقة .

يضم هذا الكتاب حصيلة سنوات طويلة من العمل السياسي والفكري ، وهو لذلك غني بمادته وتحليله ، ولا اعتقد ان هناك كتابا بالعربية يضاهيه في غناه وايجازه . وبما ان المؤلف يعتقد ان القضية الفلسطينية كانت نتيجة صراع ثلاث قوى هي : الامبريالية البريطانية والحركة الصهيونية والحركة القومية العربية ، ص ٧ ، فقد تناول هذه القوى الثلاث بالبحث ، مركزا على مصالحها وعلاقاتها وصراعاتها ، محددا مواقفها في المراحل المختلفة ، ملقيا الاضواء على العوامل التي صنعت هذه المواقف . ولذلك كله يهدينا الكتاب الى عوامل الصراع ، والى تقلباته وتعقيداته ، دون ان نحس بالغموض او الضياع . اننا نظل ، خلال قراءتنا الكتاب كله ، ممسكين بطرف الخيط . واذا كان المؤلف يزودنا بتطورات الموقف البريطاني الرسمي منذ أوائل القرن الماضي حتى الان من فلسطين والقضية الصهيونية ، فانه يزودنا أيضا بتطورات الحركة الصهيونية . ان هذه التطورات والعلاقات فيما بينها لا تتضح في كتاب كما تتضح في هذا الكتاب .

ولكن هذا كله ليس أهم ما يتسم به الكتاب . ذلك ان الكتاب يتناول تطور الحركة الوطنية في فلسطين تناولا موضوعيا ومنصفا . انه يفهم هذه الحركة ، يفهم دوافعها ومطامحها ، ولذلك يبرز طابعها الوطني والتقدمي ، وان كان يذكر سلبياتها أيضا .